وثائق عامّة

المجمَع الفاتيكانيّ الثانيّ

الحركـــة المَسْكونيّة

قرار مجمعيّ

روما، تشرين الثّاني ١٩٦٤

الحركة المسكونيّة

توطئة

١– من الأغراض الرّئيسيّة الّتي هَدفَ إليها المَجمع المسكونيُّ الفاتيكانيُّ الثّاني المقدّس العملُ على استعادةِ الوَحدةِ بين جميعِ المسيحيّين. فالمسيحُ الرَّبُّ أنشأَ كنيسةً واحدةً لا غير. ومع ذلك فإنَّ جماعاتٍ مسيحيّةً عديدةً تعتبرُ في النّاس أنّها الوارثةُ الحقيقيّةُ ليسوعَ المسيح. إنّهم يعترفون جميعًا بأنّهم تلاميذُ الرَّبّ، ولكنّهُم يَقفون مواقِفَ متباينةً، وينهَجون طُرُقًا مختلفة، كما لو كان المسيح نفسُه قد تجزّأ[١]. واليقينُ أنَّ مثلَ هذا الانقسامِ يتعارضُ صراحةً مع إرادة المسيح؛ وهو للعالم حجرُ عِثارٍ، وعقبةٌ في طريقِ أقدس الغايات، أي الدّعوةِ بالإنجيل في الخليقة كُلِّها.

بيدَ أنَّ سيّدَ العُصورِ الّذي لا يني، بحكمةٍ وطولِ أناة، يواصلُ إتمامَ مقاصدِ نعمتِه تُجاهَنا نحن الخطأة، قد بدأ، في هذه الأزمنةِ الأخيرة، يُفيضُ بغزارةٍ، في المسيحيّين المتَشاقّين، روحَ التّوبةِ ورغبةَ الاتِّحاد. وإنَّهم لَكثيرون أولئك الّذين، في كلِّ مكان، حرَّكتْهم هذه النّعمة، فظهرَ بغتةً، بفعلِ الرّوح القدس، حَراكٌ بين الإخوة، هو الأوسعُ نطاقًا عند إخوتنا المُفارقين، وينمو يومًا بعد يوم، بُغيةَ استعادةِ الوحدة بين جميع المسيحيّين.

---

[١] ١كور ١: ١٣.

وهذا الحَراكُ نحو الوحدَة، الّذي يُسمَّى «الحركة المسكونيّة»، يشتركُ فيه جميعُ الّذين يَدعُون باسم اللهِ المُثلَّثِ الأقانيم، ويعترفون بيسوع ربًّا ومُخلِّصًا، لا بصفَتِهم الشّخصيّة الفرديّةِ فقط، بل بصفةِ كونِهم أيضًا أعضاءً مُنضَوين إلى جماعةٍ، تَلقّوا فيها الإنجيل، وسمّوها، كلٌّ من جهتِهِ، كنيستَهم الخاصّة وكنيسةَ الله. هؤلاء، بمعظمهم، يَحنّون إلى كنيسة الله الواحدة المنظورة، الحقيق بها أن تكون جامعةً مُرسلةً إلى العالم كلِّه، لكي يهتدي إلى الإنجيل ويحصُلَ على الخلاص ويتمجَّد اللهُ بذلك.

الفصل الأوّل
المبادئُ الكاثوليكيّة في الحركة المسكونيّة

٢– إنّ محبَّةَ اللهِ ظهرتْ لنا في أنّ الله قد أرسلَ ابنه الوحيد لكي يُجدِّدَ، بتَجسُّده، مِيلادَ الجنس البشريّ بأجمعه، محقّقًا له الفداء وجامعًا الكلّ في واحد[٢]. فإنّه هو الّذي، قَبْلَ أن يقرّبَ نَفسه على مذبح الصّليب قُربانًا لا عيبَ فيه، وجَّه إلى الآب هذه الصّلاة لأجلِ الّذين سيؤمنون به: «ليكن الجميعُ واحدًا كما أنّك أنت، أيُّها الآب، فيّ وأنا فيك؛ أجل، ليكُونُوا هم أيضًا واحدًا فينا فيُؤمنَ العالمُ أنّك أنتَ أرسلتني»[٣]. وأنشأ في كنيستِه سرَّ الإفخارستيّا العجيب الّذي يُعبّرُ عن وحدةِ الكنيسة ويحقّقها. وأعطى تلاميذه وصيّةً جديدة[٤]: أن يحبَّ بعضُهم بعضًا؛ وَوعدهم[٥] بالرّوح المعزّي أن يظلَّ معهم، ربًّا ومُحييًا، أبدَ الدّهر.

---

[٢] يو ٤: ٩؛ كول ١: ١٨–٢٠؛ يو ١١: ٥٢.

[٣] يو ١٧: ٢١.

[٤] يو ١٣: ٣٤.

وإنّ الرّبّ يسوع، بعد إذ رُفِعَ على الصّليب ثُمَّ دخل في المجد، أفاضَ الرّوح الّذي كان قد وَعَدَ به. وبه دَعا وجمعَ في وَحدةِ الإيمان والرّجاء والمحبّة شعبَ العهدِ الجديد الّذي هو الكنيسةُ على حسب تعليم الرّسول: «إنّ الجسدَ واحد، والرّوح واحد، كما أنّكم، بدعوتِكم، قد دُعيتُم إلى الرّجاء الواحد، وإنّ الرّبَّ واحد، والإيمانَ واحد، والمعموديّة واحدة»[٦]؛ لأنّكم، أنتُم جميعَ الّذين اعتمدوا للمسيح قد لبستم المسيح... لأنّكم جميعًا واحدٌ في المسيح يسوع[٧]. فالرّوح القدس السّاكنُ في المؤمنين، الّذي يملأُ الكنيسة كلَّها ويَسوسُها، يحقّقُ هذه الشّركةَ العجيبةَ بين المؤمنين، ويَجمَعُهم كلَّهم في المسيح جمعًا صحيحًا ويكون مبدأَ الوَحدة للكنيسة. إنّ الرّوحَ القدسَ هو الّذي يُنوّع النّعم والخِدم[٨]، فيُغني كنيسةَ يسوع المسيح بالوظائف المُختلفة، «ويُنظّمُ هكذا القدّيسين في عملِ الخِدمةِ من أجلِ بُنيانِ جَسدِ المسيح»[٩].

ولكي يُقيمَ المسيحُ كنيستَه المقدّسة في كلِّ مكانٍ حتّى مُنتهى الدّهر، قلَّدَ هيئةَ الرّسل الاثنَيْ عشر مَهمّةَ التّعليمِ والإدارةِ والتّقديس[١٠]. واختارَ منهم بطرس الّذي، بعد ما شَهِدَ له، قرّرَ أن يَبني كنيستَه عليه؛ وَوعدَه بمفاتيحِ الملكوت[١١]؛ ثمّ إنّه بعدما أثبتَ له الرّسولُ حُبَّه، ائتمنَه على جميعِ النّعاجِ يُثبّتُها في الإيمان[١٢]، ويرعاها في وَحدةٍ

---

[٥] يو ١٦: ٧.

[٦] أف ٤: ٤-٥.

[٧] غلا ٣: ٢٧-٢٨.

[٨] ١كور ١٢: ٤-١١.

[٩] أف ٤: ١٢.

[١٠] متّى ٢٨: ١٨-٢٠؛ يُقارن بما ورد في يو ٢٠: ٢١-٢٣.

[١١] متّى ١٦: ١٩؛ يقارن بما ورد في متّى ١٨: ١٨.

[١٢] لو ٢٢: ٣٢.

كاملة[١٣]، فيما يسوعُ المسيح يَظلُّ، هو نفسُه إلى الأبد، رأسَ الزّاويةِ الأعظم[١٤] وراعيَ نفوسِنا[١٥].

ثمّ إنّه بالدّعوة بالإنجيل بأمانةٍ على يد الرّسل ثُمَّ على يدِ خلفائهم – أي الأساقفةِ برئاسةِ مَنْ هو خَليفةُ بطرس – وبتوزيعِ الأسرار، والحُكمِ بمحبّةٍ بقيادةِ الرّوح القدس وفعلِه، يريدُ يسوع المسيح لِشعبه أن ينموَ، وأن يُحقّقَ الشّركة في الوحدة بالشّهادةِ على الإيمان الواحد، وبالاحتفال المشترك في العبادةِ الإلهيّة، وبالاتّفاق الأخويّ في أُسرة الله.

وهكذا يَتهيّأُ للكنيسة، قَطيعِ الله الخاصّ، فيما تَبدو «كرايةٍ مرفوعة» على مَرأى الأمم[١٦]، وتُقدِّم إنجيل السّلام خدمةً للجنس البشريّ كلِّه[١٧]، أن تُتِمَّ، في كَنفِ الرّجاء، مسيرتها نحو الأجلِ الّذي هو الوطنُ السّماويّ[١٨].

ذلك هو سِرُّ وَحدة الكنيسة المقدّس، في المسيح وبالمسيح أي بفعل الرّوح القدس الّذي يُحقّقُ تنوُّعَ الخِدَم. وإنّ المثالَ الأسمى لِهذا السِّرّ ومبدأه هما وحدة الأقانيم الثّلاثة، الآب والابنِ والرّوحِ القدس، في الله الواحد.

(العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكيّة والإخوة المفارقين)

٣– وفي كنيسة الله هذه الواحدةِ ظَهرَت منذُ البدء بعضُ الانقسامات[١٩] استنكرها الرّسول[٢٠] بشدّةٍ كأمر يستوجبُ الشّجب؛ وفي غَضونِ القُرونِ اللّاحقة

---

[١٣] يو ٢١: ١٥–١٨.

[١٤] أف ٢: ٢٠.

[١٥] ١ بط ٢: ٢٥. – م ف١، الجلسة ٤ (١٨٧٠): الدّستور «الرّاعي الأزليّ»: مجموعة لاسنسيس ٧: ٤٨٢ أ.

[١٦] أش ١١: ١٠–١٢.

[١٧] أف ٢: ١٧–١٨، يقارَن بما ورد في مر ١٦: ١٥.

[١٨] ١ بط ١: ٣–٩.

[١٩] ١ كور ١٢: ١٨–١٩؛ غلا ١: ٦–٩؛ ١ يو ٢: ١٨–١٩. وما بعده؛ ١١: ١٢.

[٢٠] ١ كور ١: ١١.

وقعت انشقاقاتٌ أشدُّ خطورةً، وافترقَتْ طوائف كنسيّة ذاتُ شأنٍ عن الشّركة التّامّة مع الكنيسةِ، بذنبِ أفرادٍ أحيانًا من هذا الفريق أو ذاك. بيدَ أنَّ الّذين يُولدون اليوم في حِضن تلك الطّوائفِ الكنسيّة ويَحيونَ من الإيمان بالمسيح لا يمكنُ أن يُطالَبُوا بخطيئةِ الافتراق، لذلك تَشمُلهم الكنيسة الكاثوليكيّة بالاحترام الأخويّ والمحبّة. ذلك أنَّ الّذين يؤمنون بالمسيح وقَبِلُوا المعموديّةَ قَبولًا صحيحًا هم على الشّركة، وإن غيرَ كاملةٍ، مع الكنيسة الكاثوليكيّة. ولا جَرَمَ أنّ ما بينَهم وبين الكنيسة الكاثوليكيّة من اختلافاتٍ متنوّعةٍ في قضايا عقائديّة، وأحيانًا قانونيّة، أو في شأنِ بُنية الكنيسة، يُكوّنُ عددًا من العَقَباتِ، هي أحيانًا خطيرةٌ جدًّا، في طَريقِ الشّركة الكنائسيّة التّامّة؛ بيدَ أنّ الحركةَ المسكونيّة تَرمِي إلى تَذليلها. ولكنّهم لمّا كانوا قد بُرِّروا بالإيمان الّذي نَالوهُ في المعموديّة، وصارُوا به أعضاءً لجسدِ المسيح[٢١]، فإنّهم بحقٍّ يحملون الاسم المسيحيّ، وبحقٍّ يَرى فيهم أبناءُ الكنيسة الكاثوليكيّة إخوةً في الرّبّ[٢٢].

وإلى ذلك فإنَّ من العناصرِ أو الخُيورِ الّتي بمجموعِها تُبنى الكنيسةُ، ومنها تستَمِدُّ حيويَّتها، يمكن أن يوجَدَ بعضُها، أو كثيرٌ منها، ممّا له قيمةٌ كبيرةٌ، خارج نِطاق الكنيسة الكاثوليكيّة المنظور؛ من هذه العناصر: كلمةُ الله المكتوبةُ، وحياةُ النّعمةِ، والإيمانُ والرّجاءُ والمحبّة، وغيرُها من مَواهبِ الرّوح القدس الباطِنةِ، وكذلك عَناصرُ أخرى ظاهرة. وهذا كُلُّه الّذي يَنبعُ من المسيح ويقودُ إليه، هو بقوّةِ الحقِّ مِلكُ كنيسةِ المسيح الواحدة.

---

[٢١] م.ف.، الجلسة ٨ (١٤٣٩)، القرار «هلّلوا الله»: مانسي ٣١: ١٠٥٥أ.

[٢٢] القدّيس أوغسطينوس: في المزمور ٣٢، المقال ٢/٢٩: أ.ك.ل. ٣٦: ٢٩٩.

وكذلك أيضًا، فإنّ كثيرًا من شَعائر الدّين المسيحيّ المقدّسةِ يُمارَسُ عند إخوتنا المفارقين، ومن شأنِه يقينًا أن يؤتِيَ، بوجوهٍ مختلفةٍ باختلافِ وَضعِ كُلِّ كنيسةٍ أو طائفةٍ كنسيّة، وبصورةٍ فعّالةٍ، حياةَ النّعمةِ؛ ولا بدَّ من الإقرار بأنَّه يُولِجُ في شركة الخلاص.

ومن ثَمَّ فإنَّ هذه الكنائس[٢٣] والطّوائف الكنسيّة لا تَخلُو البتّة، على كونِنا نعتقدُ أنّها مشوبةٌ بالنّقص، من المعنى والقيمةِ في سِرِّ الخلاص. ذلك بأنّ روحَ المسيح لا يَستَنكفُ من استخدامِها وسائلَ خلاصٍ تنبع قوَّتُها من ملءِ النّعمةِ والحقيقةِ الّذي اؤتُمنت عليه الكنيسةُ الكاثوليكيّة.

بيدَ أنّ إخوتنا المفارقين، سواءٌ من حيثُ هم أفرادٌ أو مجتمعُون في طوائِفهم أو كنائسهم، لا يَنعَمون بهذه الوحدة الّتي أراد يسوع المسيح أن يُؤتيها جميعَ الّذين جدَّد ميلادَهم وأحياهم ليكوّنوا جسدًا واحدًا لحياةٍ جديدة، حياةٍ أكّدها الكتابُ المقدّس وتقليدُ الكنيسة. ذلك أنّه بكنيسةِ المسيح الكاثوليكيّة وحدَها، الّتي هي «وَسيلةٌ شاملةٌ للخلاص»، يمكنُ الحُصولُ على ملءِ وسائِلِ الخلاص. فإنّ الهيئةَ الرّسوليّة الّتي بطرسُ رأسُها، هي وحدَها، بحسب إيمانِنا، قد اؤتُمنت على جميعِ خيراتِ العهد الجديد، لتكوّنَ على الأرض جسدًا واحدًا للمسيح الّذي ينبَغي أن ينغرِس بهِ مِلءَ الانغراس جميعُ الّذين أمسَوا من شعبِ الله. وهذا الشّعبُ وإن ظلَّ، في غضون حجِّهِ على الأرض، مُعرّضًا في أعضائِه للخطيئة، يُواصلُ نماءَه في المسيح، ويقودُه الله برفقٍ بحسبِ مقاصِدِه الخفيّة، إلى أن يَبلُغَ سعيدًا، في أورشليمَ السّماويّة، ملءَ المجدِ الأبديّ.

---

[٢٣] م.ل.٤ (١٢١٥): الدّستور ٤: مانسي ٢٢: ٩٩٠. – مجمع ليون ٢ (١٢٧٤): المجاهرة بالإيمان لميشيل باليولوغ: مانسي ٢٤: ٧١أ. – م.ف. الجلسة ٦ (١٤٣٩) التّحديد «فلتفرح السّماوات»: مانسي ٣١: ١٠٢٦ هـ.

(الحركة المسكونيّة)

٤– ولمّا كانت اليوم، في أنحاءٍ مختلفةٍ من العالم، تُبذَلَ، بنعمةِ الرّوح القدس، جهودٌ كثيرةٌ بالصّلاةِ والقَول والعملِ، في سَبيلِ اكتمالِ الوَحدة الّتي أرادَها يسوع المسيح، فإنّ المَجمع يحثُّ جميعَ المؤمنين الكاثوليك على أن يتبيَّنُوا علاماتِ الأزمنة ويُسهموا إسهامًا حكيمًا في الجُهدِ المسكونيّ العامّ.

ويُفهمُ «بالحركة المسكونيّة» مجموعُ المشاريع والمُبادرات الّتي تَنبثقُ وتُنظَّمُ، على حسب مُستلزَمات الكنيسة المتنوّعة ومُقتضى الأحوال، في سبيلِ وَحدة المسيحيّين. من ذلك أوّلًا السّعيُ إلى إزالة الأقوال والأحكام والأعمالِ الّتي لا تَنطَبقُ، بالحقيقةِ والإنصاف، على وَاقعِ الإخوة المفارقين، وتُسهم في جعلِ العَلاقاتِ معهم أصعبَ وأعسر. وثانيًا، إجراءُ الحوار في اجتماعاتِ المسيحيّين، من كنائِسَ مختلفة، حتّى إذا ما نُظِّمَ بروحٍ دينيّ، وقادَ دفّته فيها أهلُ الخبرةِ والاطّلاع الحسن؛ فسّر كلُّ واحدٍ تعليمَ طائفتِه تفسيرًا دقيقًا عميقًا، وبَيّنَ بجلاءٍ ما يُميّزها. فإنّ هذا الحِوار يُكسِبُ الجميعَ معرفةً أصحّ، وتقديرًا أنصف، لتَعليمِ كلِّ جماعة ولحياتها. وحينئذٍ ينشأ التّعاونُ بين هذه الجماعات على نِطاقٍ أوسع في كلِّ نوعٍ من المشاريعِ الّتي إذا تجاوَبت مع مقتضيات كلِّ ضمير مسيحيّ تُسهمُ في بُنيان الخير العامّ. وكذلك أيضًا يمكنُ الاجتماعُ، في المُناسبات، للقيامِ بصلاةٍ مشتركةٍ. وثالثًا وأخيرًا، يتفحَّصُ الجميعُ مَدى أمانَتِهم لإرادةِ المسيح بالنّسبة إلى كنيسته، ويجتهدُون اجتهادًا حثيثًا في التّصدّي لقضيّة التّجديد والإصلاح.

فهذا كلُّه، إذا ما فَعَله مؤمنو الكنيسة الكاثوليكيّة بفطنةٍ وصبر، وبإشرافِ الرّعاة، يُسهم في تغليبِ العدالةِ والحقيقة، وفي تقدّمِ الوِفاقِ والتّعاونِ والمحبّة الأخويّة، والاتّحادِ. وبهذه الطّريق يتهيَّأُ لجميع المسيحيّين، شيئًا فشيئًا وبعد تذليلِ العَقبات الّتي تحولُ دون

الشّركةِ الكنائسيّة التّامّة، أن يَلتقُوا مُجتمعين بإقامةِ الإفخارستيّا الواحدة، في وَحدةِ الكنيسة المنظورة. وهذه الوحدةِ إنّما آتاها المسيح كنيستَه منذُ البدء؛ ونؤمنُ بأنّها استمرّت قائمةً في الكنيسة الكاثوليكيّة في غير أفولٍ؛ ونرجو أنّها ستنمو باطّرادٍ، يومًا بعد يوم، حتّى منتهى الدّهر.

وبديهيّ أنّ عمليّة تهيئةِ الأفرادِ ومُصالحتِهم مع الكنيسة الكاثوليكيّة، إذا هم رَغبوا في الشّركة التّامّة معها، تتميّزُ بذاتِ طبيعتِها عن غايةِ الحركة المسكونيّة؛ غير أنّهما لا يقومُ بينهما أيُّ تعارضٍ لأنّ كِلَيْهما ينجمُ عن تدبيرٍ إلهيّ عجيب.

وفي العملِ المسكونيّ لا بدَّ لأبناءِ الكنيسة الكاثوليكيّة من أن يكونُوا ممتلئين ولاءً واهتمامًا تُجاهَ إخوتهم المفارقين، فيُصلُّون لأجلهم، ويتّحدون معهم في شؤون الكنيسة، ويخطُون نحوهم أولى الخطوات، ويَنظُرون خصوصًا، في استقامةٍ وانتباه، إلى كلّ ما ينبغي تحقيقُه، في الأسرة الكاثوليكيّة بالذّات، لكي تكونَ حياتُها شهادةً أمينةً وواضحةً للتّعليم والسُّنن الّتي انتقلت من المسيح بواسطةِ رُسُلِه.

ذلك أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة، على كَونِها تتمتّعُ بالحقيقة الّتي أنزلها الله وبجميعِ وسائلِ النّعمةِ فإنّ أعضاءها لا يستمدّون منها ما يلزم لممارسة التّقوى بحرارة. فينتجُ من ذلك أنَّ وَجهها يبدو أقلَّ تألّقًا في نَظرِ إخوتنا المفارقين، ونَظرِ العالم كُلِّه، وأنَّ نموَّ ملكوتِ الله يتقيّدُ. لذلك يجبُ على جميع الكاثوليك أن يَصبُوا إلى الكمال المسيحيّ[٢٤]؛ وعلى كلِّ واحدٍ منهم، في نِطاقِه الخاصّ، أن يجتهدَ في عَملِ الكنيسة، الحاملةِ في جَسدها تواضعَ يسوع وإماتَته[٢٥]، على أن تتطهّرَ وتتجدَّد يومًا بعد يوم، إلى أن يزفَّها المسيح إلى نفسِه مجيدةً، لا عيبَ فيها ولا غَضْن[٢٦].

---

[٢٤] يع ١: ٤؛ روم ١٢: ١-٢.

[٢٥] ٢ كور ٤: ١٠؛ فيل ٢: ٥-٨.

[٢٦] أف ٥: ٢٧.

وعلى كلِّ واحدٍ في الكنيسة، مع حِرصِه على ضمانةِ الوَحدةِ فيما لا بدَّ منه، وبحسب الوظيفة الّتي قُسِمت له، أن يحافظَ على الحرّيّة اللّازمة، سواءٌ كان في مختلفِ أنماطِ الحياةِ الرّوحيّة والقانونيّة، أم في تنوّعِ الطّقوس اللّيترجيّة، بل أيضًا في التّعبير اللّاهوتيّ عن الحقيقةِ الموحَى بها. وينبغي في كلّ شيء ممارسةُ المحبّة. وهكذا يُظهِرُ الجميعُ، بوجهٍ صحيحٍ ويومًا بعد يوم، كمالَ جماعيّة الكنيسة ورسوليّتها.

وإلى ذلك لا بدَّ للكاثوليك من أن يرتاحوا للاعتراف بالقِيَم المسيحيّة حقًّا الّتي توجدُ عند إخوتنا المفارقين، ويُقدّروا هذه القيمَ النّابعة من التّراثِ المشترك. فإنّه من العدلِ والمفيدِ للخلاصِ الاعترافُ بغنى المسيح، وبقُدرتِه العاملةِ في حياةِ الّذين يشهدون له حتّى السّخاء بدمائِهم أحيانًا؛ فإنّ اللهَ عجيبٌ على الدّوام ويجبُ أن يكونَ موضعَ الإعجاب في أعماله.

ويجبُ أيضًا ألّا نَنسى أنّ كلَّ ما تَفعلُه نعمةُ الرّوح القدس في إخوتنا المفارقين من شأنه أن يُسهم في بنيانِنا؛ فإنّه ما من شيءٍ البتّة، ممّا هو مسيحيّ حقًّا، يتعارضُ مع قِيمِ الإيمان الحقّة، وإنّما من شأنه المساعدةُ على النّفاذِ أكثر وأفضلَ في سِرّ المسيح والكنيسة.

غير أنّ الانقساماتِ بين المسيحيّين تَمنعُ الكنيسةَ من أن تُحقِّقَ ملءَ جامعيّتها، في الّذين من أبنائها وُلدُوا لها بالمعموديّة، ولكنّهم مُنفصلون عن شركتها التّامّة. بل يصعبُ حتّى على الكنيسة، في مثلِ هذه الحال، أن تُعبّر، من كلّ وجهٍ، عن تمام جامعيّتها في واقع الحياة.

هذا المُجمع المقدّس يرى في اغتباطٍ أنّ إسهام المؤمنين الكاثوليكيّين في العمل المسكونيّ يزدادُ يومًا فيومًا، وهو يَعهدُ بهذا العمل إلى أساقفة المسكونة كلّها لكي يُعنَوا بتنشيطه وتوجيهه في حكمةٍ وفطنة.

الفصل الثّاني
مبادئ العمل المسكونيّ

٥– وإنّ الاهتمامَ ببناء الوحدة فرضٌ على الكنيسة كُلِّها جمعاء، سواءٌ في ذلك المؤمنون والرّعاة؛ ويُلزِمُ كلَّ واحدٍ بحسب طاقاتِه، سواءٌ في الحياة المسيحيّة اليوميّة أو في البحوثِ اللّاهوتيّة والتّاريخيّة. وإنّ مثلَ هذا الاهتمام يُظهِر، من بعضِ الوجوه، الرّابطَ الأخويَّ الّذي يَربطُ بين المسيحيّين ويقودُ إلى تمامِ وكمالِ الوحدة، كما يُريدُها الله.

(التّجدّد في الكنيسة)

٦– ولمّا كان كُلُّ تَجدُّدٍ في الكنيسة[٢٧] يقومُ جوهريًّا على أمانتِها المتزايدةِ لدعوتِها كان في هذا بالذّاتِ تفسيرُ الدّافعِ إلى الحركةِ نحو الوحدة. ذلك بأنّ الكنيسة، طالما هي في مسيرة حجٍّ إلى الله، يدعوها المسيح إلى هذا الإصلاح المستديم لأنّها على الدّوامِ بحاجةٍ إليه من حيثُ هي مُؤسّسةٌ بشريّةٌ وأرضيّةٌ. فَلئن حدثَ إذًا أنَّ الأحوالَ قد حالتّ أحيانًا دونَ القيامِ بمثلِ هذه الإصلاحاتِ في نطاقِ الأخلاق والقانون الكنسيّ، بل حتّى في طريقةِ التّعبير عن العَقيدة – الّتي يجبُ تمييزُها عن وَديعة الإيمان – فتجبُ العودةُ إليها في الوقتِ المناسبِ بما يَلزمُ من الجِدّ والاستقامة.

فلهذا التّجدُّد إذن قيمةٌ مسكونيّة بالغةُ الشّأن. فينبغي، والحالةُ هذه، أن نَرى في أنماطِ الحياة الكنسيّة المختلفةِ، الّتي بموجَبِها يتمُّ التّجدُّدُ المقصودُ – كالحركتَيْن الكتابيّة واللّيترجيّة، والتّبشير بكلمة الله، والتّعليمِ المسيحيّ، ورسالةِ العَلمانيّين، والأنماط

[٢٧] م.ل. ٥، الجلسة ١٢ (١٥١٧): الدّستور «ما أُنشئ»: مانسي ٣٢: ٩٨٨ ب–ج.

الجديدةِ في الحياةِ الرّهبانيّة، وروحانيّة الزّواج، وتَعليمِ الكنيسة العقائديّ ونشاطِها في الشّؤون الاجتماعيّة. وكلّها ضماناتٌ وعلاماتٌ خيّرة تُبشِّر بنموّ الحركة المسكونيّة في المستقبل.

(توبة القلب)

٧– وإنّه ما من سبيلٍ إلى قيامِ حركةٍ مسكونيّة حقيقيّة بدونِ ما تجدُّدٍ في القلوب. ذلك بأنَّه من تجدُّد الرّوح[٢٨]، ونُكرانِ الذّات، وفَيضَانِ المحبّة الطّوعيّ، تنطلقُ الرّغبةُ في الوَحدةِ وتبلغُ غايتَها. لذلك يجبُ أن نَلتمِسَ من الرّوح القدس نعمةَ التّجرُّدِ الصّادقِ، ونعمةَ التّواضعِ والوَداعةِ في الخدمة، والسّخاءِ الأخويّ تُجاهَ الآخرين. فلقد قال رسول الأمم: «أناشدكم، أنا الأسير في المسيح، أن اسْلُكوا بمقتضى الدّعوةِ الّتي نُدبتم إليها بكلِّ تواضعٍ ووداعة وطهر، محتملين بعضُكم بعضًا بمحبّة، مُجتهدين في حِفظِ وحدةِ الرّوح برباطِ السّلام»[٢٩]. وإنّ هذا التّحريضَ مُوجَّهٌ خصوصًا إلى الّذين رُقُّوا الدّرجاتِ المقدّسة ليواصِلُوا رسالةَ المسيح الّذي إنّما جاء بيننا «لا ليُخْدَم بل ليَخْدُم»[٣٠].

وعلى الأخطاء في حقِّ الوحدةِ، تَنطبقُ أيضًا شهادةُ القدّيس يوحنّا: «إن نحنُ قُلنا إنّنا لم نُخطأ جَعلنا الله كاذبًا، وكلمته ليست فينا»[٣١]. فعلينا أن نستغفرَ، بصلاةٍ مُتواضعةٍ، الله والإخوةَ المفارقين، وأن نغفرَ لمن أساء إلينا.

---

[٢٨] أف ٤: ٢٤.

[٢٩] أف ٤: ١–٣.

[٣٠] متّى ٢٠: ٢٨.

[٣١] ١ يو ١: ١٠.

وَليذكُر المؤمنُون جميعًا أنّهم يُعزّزون اتّحادَ المسيحيّين بل يُحقّقونه بمقدارِ ما يَجتهدون في أن يَحيوا بإخلاصٍ أوفر بحسبِ الإنجيل. ذلك أنّهم بمقدارِ ما تكونُ شركتُهم مع الآبِ والكلمةِ والرّوح القدس أوثق، يستطيعون أن يجعلوا الأخوّةَ المتبادلةَ أخلصَ.

(الصّلاة المشتركة)

٨– وإنّ هذَيْن التّجدُّدَ في القلوب والقداسة في السّيرة، مُتّحدَيْن بالصّلواتِ الجمهوريّة والفَرديّة لأجل الوحدةِ بين المسيحيّين، يجبُ أن يُعَدّا بمثابةِ الرّوح للحركةِ المسكونيّة برمّتِها، وأنْ يُسَمَّيا بحقّ «روح الحركةِ المسكونيّة».

فعلى الكاثوليك أن يَروا من أقدسِ الواجباتِ عليهم أن يَجتمِعوا غالبًا ليُصَلُّوا من أجل وحدة الكنيسة، تلك الصّلاةَ الضّارعةَ الّتي رَفعَها المُخلِّصُ نفسُه في عشيّة موته إلى أبيه السّماويّ: «فليكونوا كُلُّهم واحدًا»[٣٢].

وإنّه لجائزٌ، بل هو أمرٌ مشتهًى، أن يجتمعَ الكاثوليك مع الإخوةِ المفارقين للصلاة في بعض الأحوالِ الخاصّة، كأن تكونَ الصّلاةُ «لأجل الوحدة»، أو يكونَ الاجتماعُ مسكونيًّا. فإنّ هذه الابتهالاتِ المشتركةَ لأداةٌ فعّالةٌ لاستِجداءِ نعمةِ الوحدة؛ وتعبيرٌ صحيحٌ عن الأواصرِ الّتي ما تزالُ تربطُ الكاثوليك بإخوتِهم المفارقين: «لأنّه حيثُما اجتمع اثنان أو ثلاثةٌ باسمي فأنا أكونُ في وسْطِهم»[٣٣].

وإنّما لا يجوزُ النّظرُ إلى «الاشتراك في القدسيّات» كأنّهُ وسيلةٌ تُستَخدمُ، بغيرِ تحفّظٍ، في سبيلِ استعادةِ الوحدة المسيحيّة. فإنّ مثلَ هذا «الاشتراك» مُقيّدٌ بمبدأَيْن خصوصًا: بوحدةِ الكنيسة الّتي إنّما يجبُ أن يكونَ «الاشتراكُ» تعبيرًا لها؛ وبتوخّي

---

[٣٢] يو ١٧–٢١.

[٣٣] متّى ١٨: ٢٠.

الإفادة من النّعمة عبرَ هذا «الاشتراك». أمّا التّعبيرُ عن الوَحدة فكثيرًا ما يَمنعُ من هذا «الاشتراك»؛ وأمّا النّعمةُ المتوخَّاةُ فإنّما تدعو إليه أحيانًا. لذلك يجبُ على السُّلطةِ الأسقفيّة المحلّيّة أن ترسُمَ له التّدبير العَمليّ بفطنةٍ، مُراعيةً فيه ظروفَ الزّمانِ والمكانِ وأحوالَ الأشخاص، ما لم تكن هناك ترتيباتٌ أخرى صادرةٌ عن مجلسِ الأساقفة وفقًا لِنظامه الخاصّ، أو عن الكُرسيّ الرّسوليّ.

(التّعارف الأخويّ)

٩– ولا بُدّ من الوقوفِ على فِكرِ الإخوة المفارقين وذهنيَّتهم. وهو أمرٌ يَستلزِمُ الدّرسَ في استقامةٍ ورَحابةِ صَدر. فعلى الكاثوليك المؤهَّبين حسنًا أن يُلمُّوا بعقيدةِ الإخوةِ المفارقين وتاريخهم، وبحياتِهم الرّوحيّةِ والتّربويّة، وفكرهم الدّينيّ وثقافتِهم، إلمامًا أفضل. وصِراطُهم المستقيم إلى هذا الغرض أن يجتَمعُوا معهم للبحثِ خصوصًا في الشّؤون اللّاهوتيّة، متصرّفين فيما بينهم تصرّفَ النّدّ والنّدّ بشرطِ أن يكونَ المشترِكون في البحثِ، برعايةِ الأساقفة، أهلَ جَدارةٍ حقًّا. ومِثلُ هذا الحوارِ يُظهرُ أيضًا بجلاءٍ أوفرَ واقعَ الكنيسة الكاثوليكيّة الحقيقيّ. فبهذه الطّريقةِ نتعرّفُ فكرةَ الإخوةِ المفارقين على وجهٍ أفضل، ويُقدَّمُ لهم إيمانُنا على وجهٍ أليق.

(التّنشئةُ على الرّوح المسكونيّ)

١٠– ولا بُدَّ أيضًا من أن يُعلَّم اللّاهوتُ والموادُّ الأخرى، ولا سيّما التّاريخ، في روحٍ مسكونيّة، لكي يكون هذا التّعلّم على تجاوبٍ أبلغَ مع واقعِ الحقيقة.

وإنّه لهامٌّ جدًّا أن يتفقَّه رُعاةُ الغدِ والكهنة كُنهَ اللّاهوت من خلالِ عرضٍ دقيقٍ لا من خِلال أساليبِ الجدلِ، ولا سيّما في القضايا المتّعلّقة بعَلاقاتِ الإخوةِ المفارقين مع الكنيسة الكاثوليكيّة.

ذلك أنّه بتنشئةِ الكهنةِ يَرتَبِطُ تثقيفُ المؤمنين والرّهبان وتربيتُهم الرّوحيّة. وكِلا التّثقيف والتّربيةِ أمرٌ واجبٌ.

وكذلك أيضًا على الكاثوليك، المتفرّغين للعمل الرّسوليّ في البَلدِ الواحدِ مع مسيحيّين غير الكاثوليك أن يكونوا على مَعرفةٍ، ولا سيّما في أيّامنا هذه، بالمُعضلاتِ الّتي تُثيرُها الحركةُ المسكونيّة في الشّأن الرّسوليّ، وبالنّتائجِ الّتي تُفضي إليها.

(عرضُ العقيدة وأساليبُ التّعبير عنها)

١١– ويجبُ ألّا يتحوّلَ الأسلوبُ والطّريقةُ في التّعبيرِ عن الإيمان الكاثوليكيّ عقبةً في طريق الحِوار مع الإخوة. وإنّما لا بُدَّ من عَرضِ العقيدةِ كاملةً، سافرةً، إذْ ما من شيءٍ أبعد عن العمل المسكونيّ من ذلك النّهجِ السّلاميّ الكاذب الّذي يُسيءُ إلى نَقاوةِ العقيدة الكاثوليكيّة، ويُغشّي بالغموضِ مَعناها الصّحيح الثّابت.

ويجبُ، في الوقت نفسه، أن يُفسَّر الإيمان الكاثوليكيّ بصورةٍ أبلغَ وأقوم، وأن يُستخدَم فيه أسلوبٌ في الكلامِ ولغةٌ يَسهُل مَنالُهما حتّى على الإخوة المفارقين.

وعلى اللّاهوتيّين الكاثوليك أن يَسيروا، في الحوار المسكونيّ، جامعين بين تعشُّقِ الحقيقة والمحبّة الأخويّة والتّواضُع، مُلتزمين الأمانةَ لتعليم الكنيسة الكاثوليكيّة. وليذكروا، في بَسطِهم للعقيدة، أنّ هناك ترتيبًا أو تسلسلًا في حَقائقِ المعتقد الكاثوليكيّ، نَظرًا إلى صِلتها بأصول الإيمان المسيحيّ. وهكذا تَرتَسمُ مَعالمُ الطّريق الّتي تُفضِي بهم جميعًا، بهذا التّنافُسِ الأخويّ، إلى معرفةٍ أعمقَ واستجلاءٍ أبيَنَ لغنى المسيح الّذي لا يُسبرُ غورُه[٣٤].

[٣٤] أف ٣: ٨.

(التّعاون في الشّؤون الاجتماعيّة)

١٢– وَليَعترفْ جميعُ المسيحيّين، أمامَ وَجهِ الأُمم طُرًّا، بإيمانِهم بالله الواحدِ الثّالوث، وبابنِ الله المُتجسِّد، فادِينا ورَبّنا، وليَشهدُوا، بِجُهدٍ مشتركٍ وتقدير متبادلٍ، لرجائِنا الّذي لن يخيب. ولمّا كان التّعاونُ في الشّؤونِ الاجتماعيّة قد باتَ سُنّةً في هذا العصر فجميعُ النّاس بدون استثناء، ولا سيّما الّذين يؤمنون بالله، وفي طَليعتِهم جميعُ المسيحيّين، بحُكم كونِهم يتسَمَّونَ باسمِ المسيح، مدعوّون إلى هذا التّعاون. ولا جَرَمَ أنّ هذا التّعاونَ بين جميعِ المسيحيّين يُعبّرُ بقوّةٍ عن الاتّحادِ الكائنِ بينهم، ويُسلّطُ الأنوارَ على وجهِ المسيح الّذي إنَّما جاء ليَخْدُمَ. وهذا التّعاونُ الّذي نَشأ في بُلدانٍ عديدة يجبُ تَعزيزُه بلا انقطاعٍ، ولا سيَّما حيثُ التّطوّرُ الاجتماعيّ أو التّقنيّ مدّ جذورًا، إمّا بجعلِ الشّخصِ البشريّ يُقدَّرُ حقَّ قَدرِه، وإمّا بالعمل على نَشرِ رايةِ السّلام، أو بمُواصَلةِ تطبيقِ مَبادئ الإنجيل الاجتماعيّة، أو بإنماء العُلوم والفُنون في جَوٍّ مسيحيّ، أو بتأمين العِلاجاتِ من كلِّ نوعٍ لمُعالجةِ أوصابِ العصر: كالجُوعِ والفَواجع، والجهلِ والفقر، وأزمةِ السّكن وعدمِ التّساوي في تَوزيعِ الثّروات. وإنَّ جميعَ المؤمنينَ بالمسيح يَجدُون في هذا التّعاونِ السّبيلَ إلى المَزيدِ من التّعارفِ والتّقدير المُتبادل، ثمّ تهيئةَ السّبيلِ إلى الوحدة بين المسيحيّين.

الفصل الثّالث

الكنائسُ والجماعاتُ الكنائسيّة المفارقة للكرسيّ الرّسوليّ الرّومانيّ

١٣– والآن نَنظُرُ في نوعَيْن من الانشقاقاتِ الرّئيسيّة الّتي أساءت إلى وَحدة الكنيسة المسيحيّة: فالأولى وقعت في الشّرق إمّا نتيجة المُعارضةِ لمقرَّرات مَجمعَي

أفسُس وخلقيدونيّة العقائديّة؛ وإمّا، فيما بعدُ نتيجةَ قطعِ الشّركة الكنائسيّة بين البطاركة الشّرقيّين والكرسيّ الرّومانيّ.

والأخرى وقعت، من بعدُ، بعدَ أكثرَ من أربعة قرون، في الغرب، نتيجة أحداثٍ أَلِفوا تسميتَها بالإصلاح. فنتجَ من ذلك أنَّ عدّةَ اتِّحاداتٍ قوميّةٍ أو مذهبيّة قد انفصلت عن الكرسيّ الرّومانيّ. وبين مَن يَحتفظُ من هذه الاتّحادات بأجزاء من التّقاليدِ والبُنَى الكاثوليكيّة، تَحتلُّ الشّركة الأنكليكانيّة المحلَّ الممتاز.

بيدَ أنّ هذه الانفِصالات المختلفة تَتباينُ كثيرًا فيما بينها، لأسبابٍ لا تعود إلى الأصلِ والمكان والزّمان فقط، بل إلى طبيعةِ وخُطورةِ القضايا المتعلّقة بالإيمان وبنيةِ الكنيسة أيضًا.

لذلك، فإنَّ هذا المَجمع، رغبةً منه في ألّا يُقلِّلَ من شأنِ أوضاعِ هذه المُجتمعات المسيحيّة المختلفة، وألّا يُغفِلَ الرّوابطَ القائمةَ بينها رغمَ الانشقاق، يرى من المُناسبِ أن يقدّمَ الاعتباراتِ الآتية لكي يُرسيَ العملَ المسكونيّ على أساسٍ من الفطنة والتّمييز.

١) اعتبارات خاصّة بالنّسبة إلى الكنائس الشّرقيّة

(روح الشّرقيّين وتاريخهم)

١٤– إنّه منذ بضعةِ قُرون يتبعُ كلٌّ من كنائِس الشّرق والغرب طَريقَه الخاصّ؛ ومع ذلك كانت هذه الكنائسُ متّحدةً بالشّركة الأخويّةِ في الإيمانِ وحياة الأسرار. وكانت إذا نَشِب بينها خلافاتٌ في العقيدة أو في القانون يَستَخدِمُ الكرسيُّ الرّومانيُّ سُلطتَه بموافقةِ الجميع. ويَطيبُ للمَجمع أن يُذكِّرَ الجميع، فيما يُذكِّرُ به من أحداثٍ هامّة،

بأنَّ في الشّرق عدّةَ كنائسَ خاصّةٍ أو محلّيّةٍ، في طَليعتِها الكنائسُ البطريركيّة الّتي يَفخَرُ بعضُها بأنّ الرّسُلَ أنفُسَهم قد أنشأوها. لذلك سادَ ويسودُ بين الشّرقيّين الاهتمامُ الخاصُّ بالحِفاظ، في شَركة الإيمان والمحبّة، على العَلاقاتِ الأخويّةِ الّتي يجبُ أن توجَدَ بين الكنائس المحلّيّة كما توجَدُ بين الكنائس الشّقيقة.

ويجبُ ألّا نَنسى أيضًا أنّ كنائس الشّرق تملكُ منذ البدءِ كنزًا ثريًّا استمدّت منه كنيسةُ الغرب الكثير من العناصِر في اللّيترجيّا والتّقليد الرّوحيّ والقانون. ويجبُ أيضًا أن نُقدِّرَ التّقديرَ الحقَّ هذا الواقعَ أنّ عقائد الإيمان المسيحيّ الأساسيّة في شَأنِ الثّالوث، وكلمةِ الله المتجسّد من مريم العذراء، قد حُدِّدت في مجامعَ مسكونيّةٍ عُقدت في الشّرق. ثمّ إنّ هذه الكنائس قد عَانت ولا تَني تُعاني الكثير من الآلام من أجل الحِفاظِ على إيمانها.

ثمّ إنّ التّقليدَ الّذي انتقلَ من الرّسُلِ قد قُبلَ على وجوهٍ مُتنوّعةٍ؛ وفُسِّرَ منذ فَجرِ الكنيسة تفسيرًا مختلفًا باختِلاف العبقريّة والأوضاع الحياتيّة. فكانت هذه الأسبابُ كلُّها، فضلًا عن الأسباب الّتي من الخارج، وانعِدامِ التّفاهُمِ والمحبّةِ المتبادلة، هي علّةُ الافتراقات.

من أجل ذلك يَحثُّ المَجمع جميعَ المؤمنين، ولا سيّما الّذين يعتزِمُون العملَ على قِيام الشّركة التّامَّةِ المنشُودةِ بين الكنائس الشّرقيّة، والكنائس الكاثوليكيّة، على مُراعاة الحالةِ الخاصّةِ الّتي كانت عليها كنائسُ الشّرقِ في عَهدِ مَولِدِها وتَرعرُعِها، وطبيعةِ العَلاقات الّتي كانت قائمةً بينها وبين الكرسيِّ الرّومانيّ قبل الافتراق، ثُمَّ على تكوينِ حُكمٍ صحيحٍ في جميعِ هذه النّقاط. فإنَّ هذه القاعدةَ، إذا ما أُخِذ بها حسنًا، تُفيدُ الحِوار المنشودَ إفادةً عظيمة.

(التّقليد اللّيترجيّ والرّوحيّ عند الشّرقيّين)

١٥– وكلٌّ يعرفُ بأيِّ حُبٍّ يحتفلُ المسيحيّون الشّرقيّون باللّيترجيّا المقدّسة، ولا سيّما بالإفخارستيّا الّتي هي للكنيسة معينُ حياةٍ، وعربونُ المجدِ السّماويّ. فبهذا يجدُ المؤمنون، مُتَّحِدين مع الأُسقفِ، سبيلًا إلى الله الآب بابنِه الكلمةِ المتجسِّد، الّذي مات ومُجِّدَ في إفاضَة الرّوح القدس؛ فيَدخلون على هذا النّحو في شَركة الثّالوث الأقدس، ويَصِيرون «شركاءَ في الطّبيعة الإلهيّة»[٣٥]. وهكذا فبإقامة إفخارستيّا الرّبِّ في كلِّ كنيسةٍ خاصّةٍ تُبنى كنيسةُ الله وتنمو[٣٦]، وتتجلّى الشّركة فيها بالاحتفال المشترك.

في هذه العِبادة اللّيترجيّة يُكرّمُ الشّرقيّون بالأناشيد الرّائعةِ مريمَ الدّائمةَ البتوليّة، الّتي أعلنَها رسميًّا مَجمعُ أفسُس المسكونيّ والدةَ الله جزيلةَ القداسة، للاعتراف بالمسيح أنّه حقًّا وحقيقةً ابن الله وابنُ البشر، على ما جاءَ في الكتاب المقدّس؛ ويُكرِّمُون أيضًا كثيرًا من القدّيسين، منهم آباءُ الكنيسةِ الجامعة.

ولمّا كانت هذه الكنائسُ لا تزال، على افتراقها تَملكُ أسرارًا حقيقيّة، ولا سيّما الرّتَبِ الكهنوتيّةِ والإفخارستيّا، بفعلِ الخِلافةِ الرّسوليّة، واللّذَين بهما تتّحدُ بنا اتّحادًا صميمًا، فإنّ بعضَ «الاشتراك في القدسيّات»، في الأحوال المُناسبة، وبمُوافَقَة السُّلطة الكنسيّة، ليس هو في حُكمِ المُمكنِ فقط، بل ممَّا يُشجَّعُ عليه أيضًا.

ونجدُ في الشّرق أيضًا كنوزَ تلك التّقاليدِ الرّوحيّةِ الّتي تُعبّرُ عنها الحياةُ الرّهبانيّةُ بوجهٍ خاصّ. فهناك، منذُ أيّامِ الآباء القدّيسين المجيدةِ، قد ازدهر التّصوّف الرّهبانيُّ الّذي انتشرَ من بعدُ في الغرب، وأمسى، على وجهٍ ما، مصدرًا للتنظيم الرّهبانيّ اللّاتينيّ، وأولاه من بعدُ حيويّةً جديدة. لذلك يُحرَّضُ الكاثوليك بإلحاحٍ على الوُلُوجِ بتواترٍ على

---

[٣٥] ٢ بط ١: ٤.

[٣٦] القدّيس يوحنّا الذّهبيّ الفمّ: العظة ٤٦ في يوحنّا: أ.ك.ي. ٥٩: ٢٦٠–٢٦٢.

هذه الكنوزِ الرّوحيّة الّتي للآباء الشّرقيّين، والّتي ترتفعُ بالإنسان كلّه إلى مشاهدةِ الأسرارِ الإلهيّة.

وَلْيعلَمِ الجميعُ أنّه من الهامّ جدًّا أن يعرِفُوا ويحترمُوا ويحفَظُوا ويُنْمُوا تراثَ الشّرقِ اللّيتُرجيَّ والرّوحيَّ الثّريَّ جدًّا، للمُحافظةِ بأمانةٍ على مِلءِ التّقليد المسيحيّ، وتحقيقِ المُصالحة بين المسيحيّين الشّرقيّين والغربيّين.

(قوانين الشّرقيّين الخاصّة)

١٦– ثُمَّ إنّ كنائسَ الشّرقِ تتبعُ، منذُ البدءِ، قوانينَ خاصّةً بها، أَقرَّها الآباءُ القدّيسون والمجامع حتّى المسكونيّةُ منها. فلا يُخالفُ البتّةَ إذًا وحدةَ الكنيسة أن يكونَ فيها تنوّعٌ في المناهج والعادات، على نحوِ ما أشرنا إليه آنفًا، بل إنَّ مثلَ هذا التّنوّعِ عُنصرٌ يَزيدُ في جَمالِها، وعونٌ لها ثمينٌ على تأدِية رِسالتها. من أجل هذا يُعلِنُ المَجمع، تَبديدًا لكلِّ شكٍّ مُمكنٍ، أنّ كنائسَ الشّرق، فيما تَعي ضَرورةَ الوَحدةِ للكنيسة كُلِّها، تملكُ السُّلطةَ بأن تَحكمَ نَفسَها بحسب قوانينها الخاصّة بها، فهي أوفرُ انطباقًا على طِباعِ مؤمنيها، وأكثرُ فعاليّةً في تَعزيزِ خيرِ النّفوس. فإنّ المحافظةَ التّامّةَ على هذا المبدأ المُتواتِرِ، والحقُّ أنّه لم يُحافَظْ عليه دائمًا، لأحدُ الشّروطِ الأولى الّتي لا بدَّ منها على الإطلاق لاستعادةِ الاتّحاد.

(التّقليدُ اللّاهوتيُّ عند الشّرقيّين)

١٧– وإنَّ ما قيلَ قبلًا في شَرعيّةِ التّنوُّعِ في العِبادةِ والنّظام يجبُ تطبيقُه أيضًا في التّعبير اللّاهوتيّ عن العقيدة. فالواقعُ أنَّ مَن دَقَّقَ النّظرَ في الحقيقةِ الموحَى بها وجدَ أنَّ المناهجَ والوسائلَ لمعرفةِ الأشياء الإلهيّة والتّعبيرِ عنها ليست واحدةً في الشّرق وفي الغرب. ومن ثَمَّ فليس بالعَجبِ أنَّ بعضَ نَواحي السّرِّ الموحى به قد أدركَها الواحدُ وعبَّرَ عنها أفضلَ من الآخرِ، بحيثُ يجبُ في الغالبِ اعتبارُ هذه الصّيغِ اللّاهوتيّةِ

المتنوّعةِ متكاملةً أكثرَ منها مُتعارِضةً. أمّا تقاليدُ الشّرقيّين الصّحيحة فيجبُ الاعترافُ بها لأنّها متأصِّلةٌ في الكتاب المقدّس تأصُّلًا بالغًا؛ وهي مُبسَّطةٌ ومعبَّرٌ عنها في الحياة اللّيترجيّة؛ وتَتغذَّى من تقليدِ الرّسل الحيّ، وكتاباتِ الآباء الشّرقيّين، والمُصنِّفين الرّوحيّين؛ وتميلُ إلى أن تُمسي قاعدةً حقيقيّةً للسِّيرة، بل لمُشاهدةِ الحقيقةِ المسيحيّةِ مُشاهدةً كاملة.

وفيما المَجمع يحمدُ الله على أنّ كثيرين من الشّرقيّين، أبناء الكنيسة الكاثوليكيّة، الّذين يحفظون هذا التّقليد ويرغَبون في الحياة منه حياةً أصفى وأكمل، هم على الشّركة التّامّةِ مع إخوتهم الّذين يحفظونَ التّقليدَ الغربيّ، يُعلن أنَّ جميعَ هذا التّراثِ الرّوحيّ واللّيترجيّ، القانونيّ واللّاهوتيّ، في مُختلَفِ تَقاليده، هو جزءٌ لا يتجزّأُ من جامعيّة الكنيسةِ ورسوليّتها.

(توصيات)

١٨– فالمَجمعُ، بعدَ إذ أنعمَ النّظرَ في هذا كُلِّه، يُحدّدُ ما أعلنته المجامعُ السّالفةُ والأحبارُ الرّومانيّون: أنّه، لأجلِ استعادةِ الشّركةِ والوَحدةِ والحِفاظ عليهما، ينبغي ألّا «يُفرَضَ شيءٌ ما لم يكن ضروريًّا»[٣٧]؛ ويتمنَّى أن تَتَّجِهَ جميعُ الجُهودِ، من الآن فصاعدًا، إلى تَحقيقِ هذه الوَحدة، شيئًا فشيئًا، في مُختلَفِ المستويات ومُختَلفِ الأنماطِ في حياة الكنيسة، ولا سيّما بالصّلاة، وبالحِوار الأخويّ فيما يتعلّقُ بالعقيدةِ وبمستلزماتِ الخدمةِ الرّاعويّة الماسّةِ في هذا العصر. ويُوصي المَجمعُ أيضًا مُؤمني الكنيسة الكاثوليكيّة بأن يعقِدُوا عَلاقاتٍ مع مَن نَزحوا عن الشّرقِ ويعيشون بعيدًا عن أوطانِهم، فيزيد بذلك التّعاونُ الأخويّ بينهم، لأنّ روحَ المحبّةِ يُقصي كُلَّ وجهٍ من وُجوهِ الخصُومةِ. وإذا تَمَّ ذلك بسَخاءٍ، وهو ما يأمَلُه المجمع، فإنّ الجِدار الّذي يَفصلُ كنيسةَ

[٣٧] أع ١٥: ٢٨؛

الشّرق عن كنيسة الغربِ سيَسقُط، فلا يكونُ من بعدُ إلّا مسكنٌ واحد، يكون فيه يسوعُ المسيح رأسَ الزّاوية، كافلًا من الواحدة إلى الأخرى رِباطَ الوحدة[٣٨].

٢) الكنائس والجماعات الكنائسيّة المفارقة في الغرب

(خصوصيّاتُ هذه الكنائس والجماعات)

١٩– لا جرمَ أنّ الكنائس والجماعاتِ الكنائسيّة الّتي انفصلت عن الكُرسيّ الرّسوليّ الرّومانيّ إبّانَ الأزمةِ الكُبرى الّتي بدأت في الغرب، في غُروبِ العصرِ الوسيط أو فيما بعدُ، تظلُّ مُتَّحدةً بالكنيسة الكاثوليكيّة بأواصِرِ قُربى خاصّة، أو بعلاقاتٍ ناجمةٍ عن الأمدِ المَديدِ الّذي سَلخَه الشّعبُ المسيحيُّ في الشّركة الكنسيّة في غضونِ القرونِ السّالفة.

ولمّا كانت هذه الكنائسُ والجماعاتُ الكنائسيّة تَتَميَّزُ تميّزًا بالغًا ليس عنّا فقط، بل فيما بينها أيضًا من جرّاء تبايُنها في الأصل والمُعتقَدِ والحياةِ الرّوحيّة، كان من الصّعب جدًّا أن نُحدّدَها بدقّة، وليس لنا هنا قصدٌ في ذلك.

ومع أنّ الحركةَ المسكونيّة ورغبةَ السّلامِ مع الكنيسة الكاثوليكيّة لم تَسُودا في كُلِّ مَكان فإنَّ لنا الأمل، على ذلك، بأنَّهم سيحصُلون كُلُّهم في النّهاية على حاسّةِ الحركة المسكونيّة هذه، وأنَّ التّقدير المتبادلَ سينمُو.

وإنّما لا بُدَّ من الاعترافِ، بأنَّ بين هذه الكنائس والجماعاتِ من جهةٍ، والكنيسةِ الكاثوليكيّة من الجهة الأخرى، فُروقًا كبيرة جدًّا، ليس من الوجهة التّاريخيّة والاجتماعيّةِ والنّفسيّةِ والثّقافيّة فقط، بل خصوصًا من وجهة تَفسيرِ الحقيقةِ الموحى

[٣٨] م.ف.، الجلسة ٦ (١٤٣٩): التّحديد «فلتفرح السّماوات»: مانسي ٣١: ١٠٢٦ هـ.

بها. فلكي نَجعلَ مُباشرةَ الحِوار المسكونيّ أيسرَ، على ما هنالك من فُروقات، نُريدُ الإشارةَ إلى بعضِ النّقاط الّتي يُمكنُ، بل يجبُ، أن تُستَخدمَ أساسًا ونقطةَ انطلاقٍ لهذا الحوار.

(١. الإيمان بالمسيح)

٢٠– نقصدُ بوجهٍ خاصٍّ أولئك المسيحيّين الّذي يعترفُون جهرًا بيسوعَ المسيح إلهًا وربًّا، وأنّه الوسيط الوحيد بين الله والنّاس لأجلِ مجدِ الله الواحد، الآب والابن والرّوح القدس. والحقُّ أنّنا نعلم أنّ الفُروقاتِ القائمةَ بالنّسبةِ إلى تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة، بل حتّى بالنّسبة إلى المسيح الكلمةِ المتجسّدِ وعملِ الفداء، وبالتّالي إلى سِرّ الكنيسة والمَهمّةِ المَنوطةِ بها، والدّورِ الّذي تؤدّيه مريم في عمل الفداء، ليست بطَفيفة. وإنّما يَسُرُّنا أن نرى أنّ إخوتَنا المنفصِلين يَرون في المسيح مصدرًا للشَّركة الكنائسيّة، ومركزًا لها؛ وأنَّ الرّغبةَ في الاتّحاد مع المسيح تَدفعُهم أكثر فأكثرَ في طلبِ الوَحدة، وأن يشهدوا لإيمانهم في كلّ مكانٍ بين الأمم.

(٢. دراسة الكتاب المقدّس)

٢١– ثمَّ إنَّ حبَّ إخوتِنا وإجلالَهم – بل ما يُقاربُ العبادةَ منهم – للكِتَابِ المقدّس، يَحملُهم على دراسةِ النّصّ الكريم بمثابرةٍ واجتهادٍ: فالإنجيلُ «هو في الحقيقةِ قوّةُ الله الّتي تُخلِّصُ كلَّ مؤمنٍ، من اليهود أوّلًا ثمّ من اليونانيّين»[٣٩].

وفيما يبتهلون إلى الرّوح القدس يَلتمِسون اللهَ في الكتاب المقدّس بالذّات، على أنّه هو الّذي يُكلِّمهم بالمسيح الّذي تَنبّأت عنه الأنبياء، والّذي هو كلمةُ الله المتجسّدِ من أجلنا. ويتأمّلُون فيه في حياةِ المسيح، وفي تَعاليمِ المُعلِّم الإلهيّ وأعمالِه الّتي عَمِلَها لأجلِ خلاصِ النّاس، ولا سيَّما في سِرِّ موتِهِ وقيامتِه.

[٣٩] روم ١: ١٦.

ولكن إذا كان أولئك المسيحيّون يؤكّدون للأسفارِ المقدّسة سُلطانًا إلهيًّا فإنَّ رأيهم يخالفُ رأينا – ويختلفُ أيضًا فيما بَيْنَهم – في شأنِ العَلاقةِ القائمةِ بين الكتاب المقدّس والكنيسة. ففي الكنيسةِ، بحسب الإيمان الكاثوليكيّ، تحتلُّ السُّلطةُ المعلِّمةُ الرّسميّةُ، في تفسيرِ كلمةِ الله المكتوبة، والوعظِ بها، محلًّا خاصًّا.

بيدَ أنّ الكلام الإلهيّ هو، في الحِوار بالذّات، أداةٌ ممتازةٌ بيدِ الله القديرِ للحصولِ على هذه الوَحدة الّتي يدعو المخلّصُ جميعَ النّاس إليها.

(٣. الحياة الأسراريّة)

٢٢– إنَّ سرَّ المعموديّة، إذا ما أُعطي بوجهٍ صحيح وقُبلَ بالاستعداداتِ الباطنةِ اللّازمة، يضمُّ الإنسانَ حقًّا إلى جسدِ المسيح المصلوب والممجّد، ويلدُه ميلادًا ثانيًا للاشتراكِ في الحياةِ الإلهيّة، كما يقول الرّسول: «لقد دُفِنتم بالمعموديّة فأُقِمتُم معه لأنّكم آمنتم بقدرةِ الله الّتي أقامته من بين الأموات»[٤٠].

فالمعموديّةُ هي الرّباطُ السّرّيُّ للوَحدةِ القائمةِ بين الّذين وُلدوا بها ثانيةً. غير أنّ المعموديّةَ ليست من ذاتها إلّا البداية ونقطةَ الانطلاق، لأنّها تَهدِفُ بكلّيّتها إلى بُلوغِ ملءِ الحياة في المسيح. فغايتُها الشّهادةُ الكاملةُ للإيمان، والولوجُ الكاملُ في تدبير الخلاص، كما أرادَهُ المسيح، والانتظامُ الكاملُ أخيرًا في الشّركة الإفخارستيّة.

فلا جرمَ أنّ الجماعاتِ الكنائسيّة المنفَصِلةَ عنّا ليست معنا على الوَحدةِ التّامَّة النّاجمةِ عن المعموديّة، ونعتقد أنّها لم تحتفِظ للسِّرِّ الإفخارستيّ بفحواه الخاصّ الكامِل، خصوصًا بسبب غيابِ سرِّ الرّتَبِ الكهنوتيّة عندها. بيد أنّها باحتفالِها في العشاء المقدّس بذكرى مَوتِ الرّبِّ وقيامتِه تَشهدُ بأنَّ الحياةَ تقومُ على الاتّحادِ بالمسيح، وتنتظرُ

[٤٠] كول ٢: ١٢.

عودتَه المَجيدة. فينبغي، والحالةُ هذه، أن يكون المُعتقدُ حولَ عشاءِ الرّبِّ، وسائرِ الأسرار، والعِباداتِ، وخِدَمِ الكنيسة، مَوضعَ الحِوار معها.

(٤. الحياة في المسيح)

٢٣– ثمّ إنّ حياةَ هؤلاء الإخوة المسيحيّة تتغذَّى من الإيمان بالمسيح؛ وتُفيدُ من نِعمةِ المعموديّةِ والتّبشيرِ بكلمةِ الله؛ وتتجلَّى في الصّلاة الفرديّة، والتّأمُّلِ الكتابيّ، وحياةِ الأسرةِ المسيحيّة، وعبادة الجماعةِ ملتئمةً لتسبيحِ الله. زدْ على ذلك أنّ العبادةَ فيها تتضمَّنُ عناصر عديدة ذاتَ شأنٍ من اللّيترجيّا القديمة العامّة.

إنّ الإيمانَ بالمسيح يُنتجُ ثِمارَ الحمدِ والشّكرِ لله على الإحسانات الّتي أوْلاها. وإلى هذا يُضافُ الشّعورُ المُرهفُ بالعدل، والمحبّةُ الصّادقةُ تجاه القريب. وقد حدا هذا الإيمان العامِلُ على إنشاءِ مبرّات لِتَلطيفِ وطأةِ البؤسِ الرّوحيّ والجسديّ، ولتربية الأحداث، وتحسين أوضاعِ الحياة المجتمعيّة، ونَشرِ لِواءِ السّلامِ الوطيد في كلِّ مكان.

وإذا كان كثيرون من المسيحيّين لا يفهَمون الإنجيل كما يفهمُهُ الكاثوليك في المسائلِ الأخلاقيّة، ولا يرون رأيَهم في حلِّ المُعضلات العسيرةِ الّتي يواجِهُهم بها مجتمع اليوم، فإنّهم مع ذلك، يُريدون، كما نُريدُ نحن، التّمسُّكَ بكلامِ المسيح مَصدرًا للقوّة المسيحيّة، والطّاعةَ لوصيّةِ الرّسول القائل: «مهما قُلتم أو فَعلتم فليكُنْ ذلك على الدّوام باسم الرَّبّ يسوع، شاكرينَ به الله الآب»[٤١]. هنا يمكن الحِوارُ المسكونيّ أن يبدأ تطبيقُه الأخلاقيّ للإنجيل.

[٤١] ١ كور ٣: ١٧.

(خاتمة)

٢٤– والآن، وقد عَرضنا بإيجازٍ لشُروطِ التّصرُّفِ في العمل المسكونيّ، وحدَّدنا المبادئَ الّتي يجب الجَري عليها، نوجّهُ النّظرَ بثقةٍ شَطَر المُستقبل. والمجمع يحثُّ المؤمنين على الامتِناعِ من كلِّ خفّةٍ، وعلى الإمساكِ عن كُلِّ غيرةٍ لا تقودُها الفِطنة، ممّا من شأنِه أن يُسيءَ إلى التّقدّمِ في طريقِ الوَحدة. وإنّما نَشاطهم المسكونيّ لا يجوزُ أن يكونَ إلّا كاثوليكيًّا تمامًا وبكلِّ صدقٍ، أي أمينًا للحقيقةِ الّتي تسلّمناها من الرّسُلِ والآباء، مُتّفقًا مع الإيمان الّذي شهدتْ له الكنيسةُ الكاثوليكيّة في كلّ حين ممتدًّا نحو الملءِ الّذي أرادَ الرّبُّ، عبر الأجيال، أن ينموَ فيه جسده.

ويتمنَّى المجمع بإلحاحٍ على مُبادراتِ أبناء الكنيسة الكاثوليكيّة أن تَنموَ متّحدةً مع مُبادراتِ الإخوةِ المفارقين، متحاشين أن يَخلُقوا أيَّ عقبةٍ في طريقِ العِناية الإلهيّة، وألّا يستبقوا بأحكامهم دوافعَ الرّوح القدس المستقبليّة. ويعلنُ المجمع، بالإضافةِ إلى ذلك، أنّه يَعي أنّ هذا المشروعَ المقدّس، أي مصالحةَ جميعِ المسيحيّين في وَحدةِ كنيسةِ المسيح الواحدةِ، يتجاوزُ القِوى والطّاقاتِ البشريّة. لذلك يعقدُ رجاءَه كُلَّه على صلاةِ المسيح لأجلِ الكنيسة، في حُبِّ الآب لنا وقُدرةِ الرّوح القدس: «فالرّجاءُ لا يخيبُ البتّةَ لأنّ محبّةَ الله قد سكبها في قلوبِنا الرّوحُ القدسُ الّذي أعطيناه»[٤٢].

كلّ ما أُعلنَ في هذا القرار، بجُملَتِهِ وتَفصيله، قد نالَ رِضى آباء المجمع المقدّس. ونحن، بالسّلطانِ الرّسوليّ الّذي لنا من المسيح، وبالاتّحادِ مع الآباء الأجلّاء، نُوافقُ عليه، ونثبّته، ونُقرُّهُ في الرّوحِ القدس، ونأمرُ بأن يُنشر لمجد الله ما تقرّر هكذا مجمعيًّا.

روما، قرب القدّيس بطرس، في اليوم ٢١ من شهر تشرين الثّاني سنة ١٩٦٤

أنا بولس أسقف الكنيسة الكاثوليكيّة

(تلي توقيعات الآباء)

---

[٤٢] روم ٥: ٥.